



# العقبة



استدارة القمر نهديك ، وبريق النجم عيناك ، نجمك انا الذي هوى ، فلتشهدني يا ضفة انني تفسخت ذرات سمرمية . اطيافا بلا لون .. انجذب .. اتقاذف .. اكون أو لا اكون .. أن .... أو .... ، وخارج طاقتي تكمن المشكلة ، أحملها صخرة ؟ ريشة ؟ انما ؟ لعنة ؟ مشكلتي انني أعشقك ، لكن ...

– وما معنى ال ( لكن ) هذه ؟

– أن ترحلي معي .

\*\*\*

هجرت الى مرافئ النور ، لم نخلق للزراعة يا معشوقتي ، فما كنا أبدا من سلالة الفراغة ، ألتيه افي دروب العشق يشفع لي / لا تحملي هما / ان اكون عارضا لصناعة بلدي التقليدية ، أو حمالا ، أو ... أو ... أو اه يا معشوقتي ، يحدثني النهر ثانية عن حشرة التيار ، عن انحسار الموجة بين جزر وجزر ، وما المدّ الا اصطلاح علمي . حدثني ايها الجغرافي عن انحسار الموجة كالدمة في مقلة العاشق . أحدثك عن أبي والمول ، كانت يدها خشتين مشقتين ، يبصق فيهما مبسلا قبل مسك المقبض ، يرفع المول ، يضرب الارض بقوة ليشق مسالك تنفذ منها مياه النهر .. يهوي ثم يهوي مفتتا الصخر .. وحين اطلع الى عمله البطولي باعجاب ، كان يقول : « الارض عزباء يا ولدي كالصبية ، اقتحمها بقوة ، اغتصبها ، ففي بطنها ألف كنز » . حقا . الارض كالصبية وذلك سر بقائنا ، لكن مشكلتي – أنا – خارج ارادتي ، فما كنت قط من اصل

قال صديقه : ما هم الآخرون في نظرك ؟  
قال دال : الآخرون عندي حقيقيون وليسوا ميتافيزيقيين .  
– مثلا ؟  
– الذين يحصون عليك أنفاسك من الصباح الى المساء الى الليل وهكذا دواليك .  
– تستطيع أن تتحدى .  
– فعلا ، انا نتحدى بظهورنا في الشوارع .  
قال صديقه : بسلاما عليك .  
– الله يعاون .

## الصورة الثالثة

من الجانب الآخر ، تقف المدينة عدوا كبيرا . وبالنسبة لدال لم تتح له هذه المدينة أن يحقق توازنا معها ليقفز عبر عوالم أخرى أكثر طمأنينة . كانت المدينة هي : بشوارعها وأزقتها وواجهاتها ومحلاتها التجارية الكثيرة ، مدينة مستقرة وقاعة بنفسها ، فهي تستيقظ في الصباح الباكر وتنتظر آخر الشهر لتقبض راتبها الشهري المتواضع . لم يحدث أن عرفت هذه المدينة زلزالا عنيفا يغير من مجرى حياتها الطبيعية ومن قناعاتها بأن « كل شيء على ما يرام » . كانت المدينة مسحوقة حتى الجذر ، وكل الانتفاضات التي نبتت من جذورها كانت مجهضة ، وهكذا تتزعزع المدينة لبضعة أيام ثم تعود الى حالتها الطبيعية . ان المدينة الآن تنتظر .

استمر دال في « رؤية » المدينة من السور الكبير فرآها هادئة ( لكنها تفور من الداخل ) . كان يسمع هدير السيارات فيقول أن لا شيء تغير . التفت حوله فرأى فتاة وفتى يتعاشقان ويضحكان ملء شديهما . حول نظره نحو الجانب الآخر : بحر صامت وأزرق وبضع رجال مرميين على شاطئه . هل يرمي نفسه من السور ؟ ليس حلا . فكّر ان الصراع أمر حتمي وان البورجوازية المتوسطة والكبيرة يههما أن ننقرض نحن من هذا العالم لتبقى هي متربعة على عرش الامتيازات .

عاد دال يجترّ أيامه من الصباح الى المساء . تلفن لصديقه وضرب لها موعدا في السادسة مساء في « الدوتشي فيتا » ، ثم ذهب الى البار ليدفن أحزانه الكبيرة والصغيرة والمتوسطة .

كانت المدينة تستيقظ في الصباح ، وكانت الشمس توزع نفسها عبر أرجائها ، ولكي يحقق توازنا ذاتيا ، لكي يتخلص من أوهامه ، قرر أن يقرأ السياسة .

في تلك اللحظة كانت المدينة تستيقظ ، في حين كان دال يغيب .

ادريس الخوري

الدار البيضاء

فرعوني ، سأبحر يا معبودتي لارى الشرق غربا، وبينهما  
فضاء عينيك ، فلنرحل يا معشوقتي ..  
- لكن ..

- وما معنى لفظتك ( لكن ) هذه ؟

- لا زلت في عصمة رجل كما تعلم .

- طلاقك بات مؤكدا بعد انتشار اشاعة عقمك .  
فالعقم في عرف العشيرة لعنة .

\*\*\*

العقم لعنة بالتأكيد . لست بالمجدلية يا من تقول  
ان الارض عزباء كالصبيبة .. أولم يحدثك النهر عن  
معشوقته الارض ؟ عن انحسار الموج ليلة اكتمال البدر ؟  
عن المدّ الذي هو مصطلح جغرافي ؟ الارض عزباء  
يا فتاي ، وكان أبوك يضرب بقوة ليشقّ المسالك ..  
الارض ومعشوقها : النهر ومعشوقته ، والرغبة ورغبتان ،  
يسري النهر في جسدها كاللذة ساعة الوصال ، تتشنج  
عروقها . عضلاتها . ترتجف . تتأوه . جدائل شعرها  
ذويت . يسري النهر أكثر ، يجوب كل دواخلها ، ينزّ  
عرقها حموضة ، يلحق النهر حموضتها ، ويتفتت ما  
تبقى من صخر .. يقول لها : آه يا معشوقتي .. وتقول  
له : معشوقتي . هل من مزية ؟ وكى لا توصف بالعار .  
اللعنة . العقم .. ينتصب أبوك كالمارد يسمل ، يضرب  
بقوة ، يزيح الطحالب .. فهي دوما عزباء في بطنها  
الف كنز ..

- يا الهي !

ويضرب أبوك .. يضرب .. تخور قواه . يمتد  
الوهن اليه . يمتص . لم يعد يقوى على حمل المعول .  
يدور به باحثا عنك . أعياه البحث والمسالك انسدت ..  
يحدث النهر عنك والطحالب تزداد تراكما .. يقول له  
أنك عائد لا محالة . والموج ينحسر .. اللعنة هم أيتها  
الارض ، ولست أنا بالمجدلية : اللعنة عقمكم أيها  
الرجال ..

- يا الهي ! هل أنت .. ؟

- خذ معولك وجرب .

\*\*\*

اجرب ؟ أحمل معولي ؟ آدم وحواء ، والشيطان  
ثالثهما .. أشتاق اليك أيتها الفرس الجامعة ..  
ارتجف كلما تصورتني ذلك الفارس الذي هو أبي ،  
الماهر في الركوب ، تفتيت الصخر ، اغتصاب الارض ،  
شقّ القنوات .. عودي يا مواسم الفرحة والفرجة ..  
ينتصب الفارس فوق سرج من الصقلي المذهب .. من  
عرف الفرس تتدلى جدائل حريرية حمراء مفتولة .  
تتأرجح كلما هزّت رأسها بعنف . وكان الفارس يدرك  
جيذا لحظة اطلاق العنان .. تثير السنابل غبارا يحجب

الرؤية لبعض الوقت .. تنسلّ رجلاه من الركاب ..  
واقف هو فوق السرج والفرس تخبط بشدة .. يقذف  
بندقيته في الهواء ، يتلقفها ، تتكرر العملية والفرس  
ما تزال تخبط .. وعند خط الوصول يتشتت البارود ،  
ويصطبغ الافق بلون رمادي داكن .. لهثات الفرس  
وارتعاشتي .. زغاريد النسوة وتعثري .. قرع الطبول  
وانتكاسي .. صورة والدي وفشلي .. آه يا معشوقتي  
هل فشلت حقا ؟

( وكانت ما تزال متمددة عارية ) .

- أحقا فشلت يا معشوقتي ؟

- يا لعقمكم أيها الرجال !

\*\*\*

عربها وعقمي .. وكالهمس كان خطوي ..  
الاستدارة والبريق ، والنجم الذي هوى ، وحديث  
النهر . أتركها خلفي الى حيث مرافىء النور الهزيمة .  
افشلت حقا كما فشل هو ( زوجها ) ؟ هم ؟ نحن ؟ لم  
نعد نضرب كالأولين بعنف . بل ندغدغ .. زمن السلم  
هذا . ونحن جيل مسالم .. زمن ( البلودجينز ) وبريق  
الماسكرا ، واستدارة النهود تحت قمصان متنقلة  
للاشهار .. فلتشهدني يا ضفة العري اني مهزوم ،  
راحل الى مرافىء النور الهزيمة الاستنزاف .

\*\*\*

وكالهمس كان خطوي قد ابتعد ..

وكالصاعقة كانت تركض خلفي ملتفة بملاءة ..

وكالصفحة واجهت - هي - الرجال المجتمعين ..

- عقمكم وعذرتي ..

وتجردت من الملاءة :

- خزيم وعربي ..

( لا أحد يجيب ) .

- لست بمریم المجدلية ..

وتمددت على ظهرها موسعة ما بين فخذيها :

- هيا جربوا فحولتكم أيها .. الخصيان .

وكارتداد الموج ترتدّ الرؤوس . وكانسداد  
المسالك تنسدّ العيون بالقذى . وكحديث النهر عن  
معشوقته ، تحدثت العزباء عن عقمنا .. نحن  
الرجال ..

ابراهيم زيد

المغرب

